حياة القِدّيس (يوسُف) شَربِل مَخلُوف.

وُلِـدَ يوسُـف أنطُـون مخلُـوف في 8 أيَّار سَـنة 1828 في بقـاعكفرا (لبنـان الشـمالي)، مِـن والِـدَينِ مـارُونِيّيَن هُمـا أنطـون زَعـرُور مخلُـوف وبريجيتـا الشّـديَاق. وَلـهُ شَـقِيقَانِ، «حَنّـا وبشـاره»، وشـقيقَتَانِ «كَـون وَوَردِه». تـربّى يوسـفُ تربيـةً مسـيحيَّةً جعلَتـهُ مُولعًـا بالصّـلاةِ منـذ طفولَتِـه. ثمَّ اقتَـدَى بِخالَيـهِ الحَبيسَـينِ في صـومعةِ ديـر مـار أنطونيـوس قزحيّـا، فمـالَ إلى الحيـاة الرّهبانيَّـةِ وَالنّسكِيَّة.

تـؤُفِّيَ والِـدُهُ في 8 آب 1831 أثناءَ عودَتِـهِ إلى منزلِـهِ، بعـدَ أَن كـانَ يعمَـلُ بالسّـخرَةِ لَـدَى الجَـيشِ التّركـيّ، فرَبَّتـهُ والدتُـهُ يتيمًـا ثُمَّ تزوَّجَـت بلَحُـود ابـراهيم الّـذي أصـبَحَ كاهِنًـا للرَّعِيَّـةِ، متَّخِـذًا اسـمَ عبـدِ الأحَـد. كـانَ يوسُـفُ تقيًّـا جِـدًّا ، إلى حَـدِّ أنَّ أبنـاءَ قريتِـهِ كـانُوا يدعونَـهُ «القِـدِّيس» وكـان يَقـودُ يَومِيًّـا قطيعَـهُ الصَّـغيرَ إلى المرعـى، ثُمَّ يتوَجَّـهُ إلى مغـارَةٍ حيـثُ يركـعُ أمـامَ صـورَةِ العَـذراءِ مريمَ وَيُصَلّي. وَهَكَذا أصبَحَتِ المغارَةُ محبسَتَهُ الأُولى وفِيما بعدُ أصبَحَت محَجًّا للمؤمنين.

في عـام 1851، غـادر يُوسُـف أَهلَـهُ وَقريَتَـهُ وتوَجَّـهَ إلى دَيـرِ سـيّدَةِ ميفُـوقَ بِقَصـدِ الترهُّـبِ، ثم إلى دَيـر مـار مـارُون عنّـايا حيـثُ انخـرَطَ في سـلكِ الرّهبانيَّـةِ المارُونيَّـةِ، متّخـذًا اسـمَ شـربِل، أَحـدِ شهداءِ الكنيسَةِ الانطاكيَّةِ مِنَ القَرنِ الثّاني.

وَفي الأوَّلِ مِـن تشـرِين الثّـاني سـنة 1853 أبـرزَ الأَب شَـربِل نـذورَهُ الاحتفاليّـةَ في ديـرِ مـار مـارون عنّـايا ثمَّ أكمَـلَ دراسَـتَهُ اللاّهوتيَّـةَ في ديـرِ مـار قبريانُـوس ويُوسـتينا، كفيفـان–البَـترُون، علَـى يَدِ معلِّمِهِ القدّيس نعمة الله الحردِيني.

في 23 تمّـوز سَـنة 1859 سـيم الأخُ شـربل كاهنًـا في بكِركـي، عَلـى يَـد المثَلَّـثِ الرَّحمَـةِ المطـرَان يُوسُف المرِيض.

عاشَ الأب شَربِل في دَيرِ مار مارُون عنَّايا مُدَّةَ 16 سنَة.

في 15 شـباط 1875 انتقـلَ نهائيًّـا إلى محبَسَـةِ مَـار بُطـرُسَ وبُـولُس التّابعـةِ للـدَّير، وبينَمـا كـانَ الأبُ الـرَّئيسُ مُتَـرَدِّدًا بشـأنِ استِحباسِـهِ، أتَتـهُ علامَـة مِـنَ السَّـماءِ تمثَّلَـت بآيَـةِ السِّـراج، فـذاتَ ليلَـةٍ، طلـبَ الأب شـربل مـن الخـادمِ أَن يمـلأَ لَـهُ السِّـراجَ زَيتًـا، فمـلأهُ مـاءً بَـدَلًا مـن الزَّيـت. وكـانَ أنَّ السِّـراجَ أَضـاءَ بِشَـكلٍ عـادِيّ. هـذهِ الآيَـةُ افتتَحَـت سِـفرَ العجائِـبِ الشَّـربليَّة، وقرَّبَـت يـومَ صـعودِ الحَبيسِ إلى منسَكِهِ المشتَهى.

كـان شَـربِل مثـالَ القـدّيسِ وَالنّاسـك، يُمضـي وقتَـهُ في الصَّـمتِ والصّـلاة والعبـادَةِ وَالعَمَـلِ في الحقـل، ونادرًا مـا كـان يغـادر المحبَسَـة، وقـد نَهَـجَ فيهـا نَهـجَ الآباءِ الحبسـاءِ القدّيسـينَ راكِعًـا على طبَقٍ من قَصَبٍ أمامَ القُربانِ، يُناجيهِ ويَسكَرُ فيهِ طوالَ اللَّيالي.

عاشَ الأب شربِل في المِحبَسَة 23 سَنَةً.

في 16 كـانُون الأَوَّل 1898 وَأثنـاءَ احتِفالِـهِ بِالقُـدَّاس أصـيبَ شـربل مخلـوف بِـدَاءِ الفـالِج، وعـاش فـترةَ نـزاعٍ دامَـت حـتّى عشـيّة عيـد المـيلادِ حَيـثُ تَوفَّـاه اللهُ في 24 كـانُون الأوَّل سَـنَة 1898، وَدُفِنَ في مَدَافِنِ دير مار مارون– عنَّايا.

بعـدَ وفاتِـهِ بأربَعَـةِ أَشـهُرٍ، ظهـرَت حَـولَ القَـبرِ أَنـوار سـاطِعَة فنُقِـلَ جثمانُـهُ الَّـذي كـانَ يرشَـحُ عرقًـا ودمًا إلى تابُوتٍ خاص. وهناكَ بدَأت حَشُودُ الحجَّاجِ تتقاطَرُ لتلتمَسَ شفاعَتَهُ.
وبِشفَاعَتِهِ هَذِه، أَنعمَ اللهُ على الكثيرينَ بالشِّفاءِ وبالنِّعَمِ الرّوحِيَّة.

وفي عام 1925 رُفِعَت دَعوَى إعلان تَطويبِهِ وقدَاسَتِهِ إلى البابا بيُّوس الحادي عَشَر.

وفي عـام 1950 فُـتِحَ قـبرُ الأب شـربل بحضُـورِ اللَّجنَـةِ الرَّسميَّـةِ مـع الأطبّـاءِ فَتَحَقَّقُـوا مـن سـلامَةِ الجُثمَان.

وبعـدَ أن تَمّ فَـتحُ القَـبرِ تزايَـدَت حَـوادِثُ الشِّـفاءِ المختلفَـةِ بصُـورَةٍ مُذهِلَـةٍ وتقـاطَرَت عنـدَها جُمُـوعُ الحجَّاجِ مِن مُختَلف المذاهِبِ وَالطَّوائِفِ إلى دَير عنَّايا تَلتَمِسُ شفاعَةَ القِدّيسِ.

وتَخطَّـتِ المعجـزاتُ حُـدُودَ لبنـانَ وأَصـبَحَ القِـدّيس شَـربل ظـاهِرَةً لبنانِيَّـةً وعالميَّـةً يَحلُـو للإنسـان أن يَعيشَها.

****

تَطوِيبه وتقدِيسه:

في عـام 1954، وقّـعَ البـابا بيـوس الثّـاني عَشَـر قـرارَ قبـولِ دعـوَى تَطويـبِ الحَبـيس شـربِل مخلُوف.

وفي ٥ كـانُون الأوّل سَـنة 1965، رأَسَ البـابا بـولُس 6 حَفلـةَ تَطوِيـبِ الأب شَـربِل في اختِتامِ المجمَعِ الفاتيكاني 2.

وفي العـام ١٩٧٥ وَقَّـعَ البـابا بُـولس السَّـادِس قَـرَارَ قبُـولِ الأعجُوبَـةِ لإعـلانِ الطّـوبَاوِيّ شـربلَ قدّيسًا، وهذَا مَا تمّ في احتفَالٍ عالميٍّ بتاريخ 9 تشرين الأوَّل سنةَ ١٩٧٧.

وَمِـن بَـينِ العجائـبِ العَدِيـدَةِ المنسُـوبَةِ إلى شَـفاعَةِ رَجـلِ اللهِ، انتَقَـتِ الكَنيسَـةُ أعجُـوبتَينِ لإعلانِ تَطوِيبِهِ وَثالِثَة لإعلانِ قداسَتِهِ:

- شفاءُ الأخت ماري آبِل قَمَري، مِن راهباتِ القَلبَينِ الأقدَسَين.

- شفاءُ اسكندَر نعّوم عبَيد، مِن بعَبدَات.
- شفاءُ مَريَم عوَّاد، مِن حمّانا.

إنتِشارُ فضائِل ومُعجزَاتِ القِدّيس شربل في كافّةِ أنحاءِ العالَم:

تَخطَّت مُعجزَاتُ شَربلَ حدُودَ لُبنانَ، وَما مجمُوعَةُ الرَّسائِل والتَّقارِيرِ المحفُوظَةِ في سجلاّتِ دَير مَار مارُون عنّايَا إلاّ دليل واضِح عَلى انتشارِ قَداسَتِهِ في العَالِم كلّه.

وأَصبَحَ ضَريحُ شَربلَ يَجتَذِبُ النَّاسَ إلَيهِ. أمّا الشِّفاءَاتُ المسجّلَةُ في سِجلاّتِ الدَّيرِ الَّتِي اجترحَها الرَّبُّ بِشفاعَةِ القدّيسِ شَربلَ، فهِيَ تتعدَّى عَشرَاتِ الآلاف، ما عَدَا الشِّفاءَاتِ المنتَشِرَةِ في كلِّ العَالِم ومَع كُلِّ الأَديانِ وَالطَّوائِفِ.

فَلتَكُن صَلاةُ القِدّيسِ شَربلَ مَعَنا.

الوَكيلُ البَطرِيركيُّ للكَنيسَةِ المارونِيَّة

في المملَكَةِ الأردُنِيَّةِ الهاشِمِيَّة

الخوري جوزف سويد.

2023 / 10 /8